الضعف والطريق إلى القوة

هل أنت إنسان ضعيف؟

ماذا تفعل عزيزى القارئ إذا باغتك أحد بمثل هذا السؤال؟ هل ستعتبره نوعا من أنواع الإساءة أو الإهانة أو عدم التقدير؟ أم ستظن أن السائل ليس على دراية كافية بك وبطبيعتك، وهل ستثور أو تغضب؟ أم تتقبل سؤاله على مضض؟ هل ستمنح نفسك فرصة البحث عن إجابة؟ أم ستطرد هذا السؤال من ذهنك حال سماعك له؟.. إذا فعلت ذلك لا أظن أن يلومك أحد، فأنت مثلى ومثل الآخرين، ترفض أن تكون ضعيفاً أو أن يراك أحد ضعيفاً.

هذا لأن الضعف أحد السمات السلبية التى تعطى انطباعا أن من يتسم بها يعانى من نقص ما، وكثير منا يرفض هذا النقص، حتى ولو كنا نشعر أن فينا بعضاً منه، أو حتى الكثير منه، ولكننا لا ولن نصارح أنفسنا به، فكلٌ منا بداخله من الوسائل ما يساعده على تناسى عيوبه وتجاهل نواقصه، ولكن هل يغير هذا من واقع الأمر شيئاً؟ لا أظن **فالضعف هو إحدى السمات المتأصلة فى طبيعتنا، وضعفنا الإنسانى حقيقة لا مفر منها**، فأنت مثلاً عزيزى القارئ أنا لا أعلم عنك شيئاً، لا أعرف هويتك ولا مكانتك، قد تكون إنساناً عادياً، أو ذا مكانة كبيرة، قد تكون زعيماً أو ملكاً متوجاً، قد تكون نحيلاً نحيفاً أو بطلاً رياضياً، قد تكون ملاكماً متميزاً أو مصارعاً بارعاً، قد تكون فقيراً معدماً أو أغنى الأغنياء، قد تكون أى شيء، أو كل شيء، ولكنى أؤكد لك، يا من تقرأ تلك السطور أيّاً كانت هويتك أو قيمتك أو مكانتك، أنك إنسان ضعيف، وأن الضعف متغلغل بداخلك حتى النخاع، وليس فى هذا إساءة لك، فكلنا ضعفاء.

● أنت ضعيف ليس لأنك تعانى من عيب ما، بل لمجرد أنك إنسان، لمجرد أنك كائن حى تتبع قوانين البشر. فنحن نولد ضعفاء ونموت أيضاً ضعفاء، هل هناك أضعف من الطفل الوليد حين يهوى من رحم أمه ببراءته وطهره ونقائه وعجزه، وهل هناك لحظة يتجلى بها ضعف الإنسان كلحظة الموت، حين تتخاذل قدراته، وتتحلل إرادته، وتتهاوى غريزة البقاء لديه وتعجز عن الصمود فى مواجهة تلك الحقيقة الحتمية فى حياة كل إنسان، بين اللحظتين اللتين تمثّلان أقصى درجات الضعف الانسانى، لحظة الميلاد ولحظة الموت، هناك سلسلة متصلة من المواقف التى تؤكّد ضعفنا وعمق هذا الضعف فينا، ولكننا غالباً لا نراه، لأننا نهرب منه، نداريه ونتحايل عليه، نتناساه ونتغافل عنه، حتى لا يؤثر سلبا على تقديرنا لأنفسنا لنظل دائماً محتفظين بوهمنا بقوتنا المزعومة وقدرتنا الكاذبة.

● والضعف ليس كيانا واحدا، ولا سمة واحدة، إنما هو أشكال متعددة، ولا نستطيع اعتباره وحدة واحدة بحيث يمكن تعميمه على سلوكنا العام، إنما هو مجموعة من السمات تتفاعل مع بعضها البعض لتؤدى إلى ضعف شخص ما فى مجال ما دون غيره، فلكل مجال ضعفه الخاص، ولكل ضعف تركيبته الخاصة، وهذا المقال يتناول بالتحليل مكونات هذا الضعف فى كل مجال من مجالات حياتنا المختلفة.

ونحن إذ نناقش الضعف فى حياتنا الإنسانية، ليس بالطبع لنؤكد ضعفنا ونعمق شعورنا بعجزنا، بل على العكس تماما، فمن خلال عمق فهمنا لكوامن ضعفنا نستمد قوتنا، فليس هناك إنسان قوى لا يعلم مواطن ضعفه، ولا يوجد هناك أضعف ممن يظن أنه قوى بلا ضعف، فالضعف جزء منا، من طبيعتنا الإنسانية، ومهما حاولنا أن ننساه أو نتناساه فهو يفرض نفسه علينا، يطل برأسه من حين لآخر يذكّرنا بنفسه، بأنه ما زال موجودا فينا، وبأننا مهما بلغنا من قوة، ما زلنا ضعفاء.

الضعف والإيمان

والإيمان قوة، ولا يوجد إنسان على هذا الكون أقوى ممن يملك صدق العقيدة، فالإيمان الحق فيه صفاء للنفس، وبعد فى الرؤية، وتحرر فى الإرادة، وترفع وسمو فوق مستوى الرغبات، ووضوح لا لبس فيه فى الغاية والهدف، وتلك هى عناصر القوة التى تؤكد قدرة المؤمن التى يستمدها من صدق إيمانه وعقيدته الراسخة.

● ولكن هل هناك علاقة تربط بين الضعف فى النفس الإنسانية والإيمان؟

لقد خلق الله الإنسان ضعيفاً، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٢٨]، والإيمان فى حقيقة الأمر هو وليد هذا الضعف، وعمق الإيمان فى أى إنسان مرتبط فى المقام الأول بدرجة الضعف فيه، فكل فرد يملك إدراكاً مستتراً بضعفه ووعياً خفياً وعميقاً بضآلته، وهذا الشعور الراسخ بداخله هو الذى يغرس بذرة الإيمان فى قلبه، وإحساسه المتكرر بعجزه على مدى سنين حياته هو الذى يروى تلك البذرة ويضرب جذورها فى أعماقه، كما أن المواقف العصبية التى يتعرض لها وتثير فيه مشاعر القلق والخوف واليأس، هى التى تنمى تلك البذرة بداخله، حتى تترعرع وتورق وتثمر، تملأ قلبه بالسكينة والطمأنينة والأمان، وكأن معاناة الإنسان هى التى تؤكد ارتباطه الدائم بربه، أو أن الله خلق الإنسان فى تلك المعاناة ليؤكد احتياجه إليه وارتباطه الوثيق به، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد-٤]، وعلى ذلك يمكننا القول إن الإيمان وليد الضعف، وإن القوة وليدة الإيمان.

وسلوك الإنسان العادى فى حياته اليومية يؤكد مدى ارتباط الضعف بالإيمان، فالمقدم على اختبار ما، الذى يسعى لتحقيق أمل ما، والخائف من شيء ما، والمترقب لخطر ما، الكل يلجأ بشكل تلقائى إلى الله عز وجل، ليطلب منه العون والمساعدة، فيزداد فى دينه التزاماً، ويزداد

فى صلاته خشوعاً وعمقاً، ويسعى لمرضاته بشتى الوسائل، إلى أن يتحقق ما كان يريد، لتبدأ الدنيا بمشاغلها تلهيه وتنسيه مرة أخرى، إلى أن يتجدد احتياج آخر مع ضعف آخر وإحباط آخر، لتعود الكرة من جديد.. وليس فى هذا غضاضة أو عيب، فهذه هى طبيعة الإنسان (إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا) [المعارج-١٩-٢٠-٢١]، كما أن تلك هى القيمة الأساسية للإيمان، أن تمنح المحبط العاجز الأمل، وأن تهب الخائف واليائس الراحة والأمان.. لذلك كان التوجه إلى الله بالسؤال والدعاء، هو خط الدفاع الأول، وأحد أهم استراتيجيات التكيّف مع ضغوط الحياة ومصاعبها لدى المؤمن فى كل الأحوال، ولدى اللاهى حين يسيطر عليه الإحباط ويتمكن منه اليأس، ويتعاظم شعوره بضعفه وعجزه، ولا يجد بريق أمل إلا فى رحاب الله عز وجل، وغالباً ما تكون تلك نقطة تحول فى حياة عدد غير قليل من هؤلاء الناس.

فكم رأينا من المشاهير فى الغناء أو الرقص أو التمثيل، تحولوا فى فترة وجيزة من طريق السهو أو اللهو إلى طريق الهداية بعد أن أصيبوا بما أدى بهم إلى معاناة حقيقية، وأسباب المعاناة فى الدنيا كثيرة، منها المرض، أو زوال الشهرة أو الصدمات العاطفية أو التقدم فى العمر أو اقتراب الميعاد، أو غيرها... فالإنسان بطبيعته الهشّة حين تزداد عليه الضغوط، وتبدأ مشاعر الإحباط تتسلل إلى قلبه، ويشعر بقسوة ضآلته، تصبح المسؤوليات العادية حملاً ثقيلاً عليه، ويتولّد بداخله رغبة جامحة إلى الاعتمادية واحتياج إلى من يساعده، إلى من يحتضنه فى رفق وحنان، أن يسترجع مشاعر الدفء والسكينة التى كانت تلفه حين كان طفلاً غافياً فى حضن أمه، فيلجأ لمن حوله من الأوفياء المقربين أو أهل العلم المتخصصين، وحين يدركه اليأس من قدرة بنى الإنسان على معاونته، ينتابه شعور عميق بالاحتياج إلى الله، قوة طاغية تدفعه إلى اللجوء إليه، فهو القادر على كل شيء، الموجود دائماً، المعين فى السراء والضراء، حيث يجد العاجز بين يديه السبيل، ويجد التائه الطريق، ويجد المحبط اليائس الأمل، ويفرغ الواهن اليائس بين أحضانه تلك الرغبة الجامحة إلى الاعتمادية، يلقى إليه بهمومه، ويتوكل عليه فينبعث بريق أمل يضيء صدره ويملأ قلبه نوراً، يزيل عنه ألم اليأس وقسوة الإحباط، ولعل تفريغ تلك الشحنة بين يدى الله وما يتبعها من شعور عميق بالراحة والاطمئنان هو الذى يفسّر هذا التحول فى بعض الناس من طريق المعصية إلى طريق الهداية.

● وعلم النفس السلوكى يؤكد أن أى سلوك يقوم به فرد ما، ويعود عليه بنتائج إيجابية، يؤدى تلقائياً إلى تشجيع هذا السلوك، وتكراره وتأكيده بداخله، وما دام اللجوء إلى الله أدّى إلى زوال الهموم، وبعث بالراحة والسكينة فى نفسه المضطربة، فمن المؤكد أن يؤدى هذا إلى تعميق الإيمان بداخله، وبمقدار ما سيتمسك به، بقدر ما سيتغلغل الإيمان بداخله.

● التأمل فى التاريخ الإنسانى يؤكد أيضاً مدى الارتباط الوثيق بين الضعف والإيمان، فلنسترجع ذكرى أجدادنا الأولين وكيف تكونت لديهم فكرة الإله، وكيف تطور فكرهم حتى توصلوا إلى معرفة الله عز وجل، فحين هبط آدم إلى الأرض، وأتى أبناؤه من بعده، كانوا حفاة عراة، لا يملكون إلا أجساداً واهنة، وفكراً محدوداً وعلماً بسيطاً، وفى المقابل كان عليهم أن يواجهوا طبيعة شرسة، ومخلوقات أشرس، فكانت هناك، البراكين والأعاصير والرياح، والبرد القارس والحر الشديد والجفاف، هناك أيضاً الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة، كما كانت هناك الأمراض التى تصيبهم وتفتك بهم وهم لا يعلمون من أين أتت ولا يملكون لها إلا الترقب والانتظار، كل هذا كان عليه أن يواجهه إنسان ضعيف عاجز يفترش أرضاً رطبة ويلتحف الفضاء من بنى الإنسان، لذلك كان الإنسان الأول عميق الشعور بضعفه، أسيراً للخوف والترقب، يملؤه القلق والافتقاد للأمان.

● أجمع علماء النفس أن هناك احتياجات أساسية لدى كل إنسان ذات تدرج من حيث الأهمية لديه، تبدأ بالأكثر أهمية ثم الأهم فالأقل أهمية، ولا ينتقل من إحداها إلى التى تليها إلا حين يرضى الأول بشكل كافٍ، وتلك الاحتياجات تمثل الدوافع الأساسية للكثير من مظاهر السلوك البشرى وتبدأ تلك الدوافع بالاحتياجات البيولوجية، كالطعام والشراب، فالجوع والعطش هما أكثر الدوافع إلحاحاً لبنى البشر، لأنهما أصل الحياة، ولا ينتقل لما بعدهما إلا بعد أن يسد جوعه ويروى ظمأه، لينتقل بعد ذلك إلى الاحتياج الذى يليه ثم ما بعده، ماراً بإرضاء العواطف والغرائز وإثبات الذات، وتصل فى نهايتها إلى إرضائه لحب المعرفة لديه، وتذوق الفن والاستمتاع بمباهج الحياة.

وأكد علماء النفس أن الذى يلى الاحتياجات البيولوجية الأولية فى تلك القائمة، هو الشعور بالأمان، فبمجرد أن يوفر الإنسان لنفسه الطعام والشراب بشكل ثابت وآمن، يبدأ فى البحث عن الأمان، لذلك فهو يقيم لنفسه بيتاً ليحتمى بين جدرانه، يتحد مع أقرانه فى جماعات تساند بعضها بعضاً، يتسلّح بأنواع مختلفة من الأسلحة ليقاوم بها أعداءه، ولكن هذا لا يوفر له إلا القدر الضئيل من الشعور بالأمان، ليظل الإنسان أسير الخوف والترقب، من تقلبات الطبيعة، من قسوة الوحوش، من سطوة المرض ومن غدر أخيه الإنسان.

كان من الصعب على أجدادنا التعايش مع هذا الحجم من القلق والخوف، فالإنسان بطبيعته المرهقة وجهازه النفسى الحساس، غير مؤهل للحياة مع هذا الكم من التوتر والترقب، وكان من المستحيل عليه أن يستمر فى الحياة على هذا المنوال، مع كل فجر جديد هناك خوف جديد.

ومن عمق شعور الإنسان بضعفه، بخوفه، بعجزه، بضآلته، برز الاحتياج إلى وجود قوة ما، أقوى من الرياح والأعاصير، أقوى من الجفاف والمطر، أقوى من العجز والمرض، أقوى من الوحوش المفترسة، وأقوى من سيئات البشر، قوة لا حدود لها،

د طارق درويش
استشارى الطب النفسى

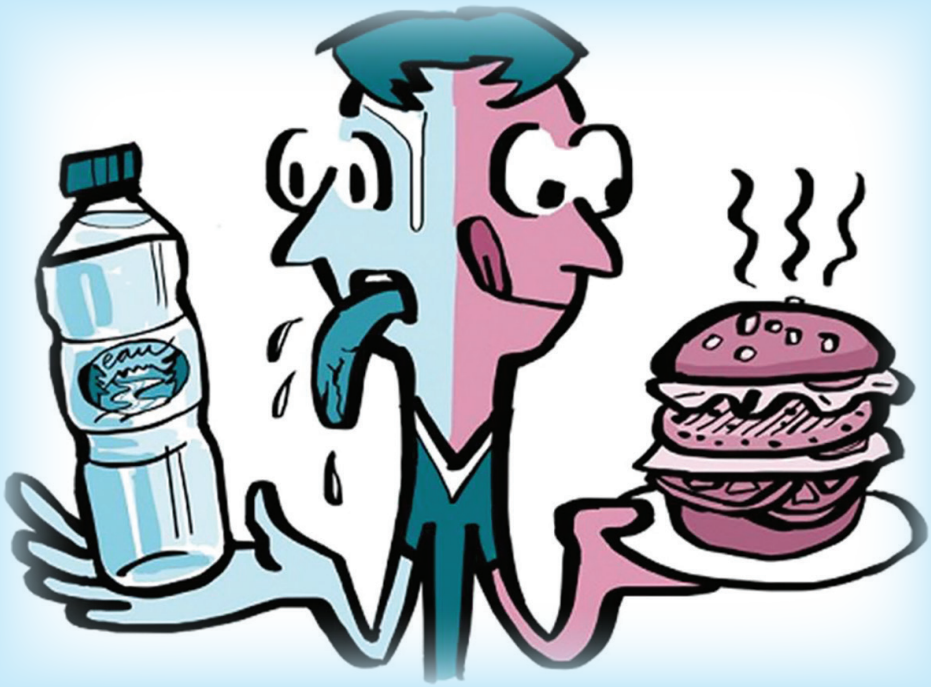

قوة مطلقة، قادرة على كل شيء، تؤازره وتسانده، تزيل عنه ألم الخوف ورعدة الرهبة وقسوة الترقّب... ومن شدّة احتياجه لتلك القوة بدأ يدرك حتميّة وجودها، بدأ يتأكد له أنها لا بد أن تكون موجودة، فى شيءٍ ما، فى مكان ما، بغض النظر إن كانت ستعينه أو لا تعينه، كان يكفيه وجودها فقط، لأن مجرد وجودها يعنى له الأمل، الأمل فى الأمان، وتلك أوّل درجات الأمان.

لذلك، لكى يستعيد الإنسان توازنه النفسى ويحافظ على ثباته المعنوى أصبح فى حاجة ملحة لأن يكون على قناعة أكيدة بوجود تلك القوة، حين تضيق به السبل وتقسو عليه الظروف، ويتعاظم ضعفه وعجزه، يلجأ إليها، يطلب منها العون، يستجدى منها المساعدة، يسألها فى خشوع أن تستجيب له، وبمدى قناعته فى تلك القوة، وبقدر عقيدته فى أنها سوف تساعده، بقدر ما ستضفى تلك القوة على قلب هذا الخائف الراحة والسكينة، وتبث فى نفسه المرتعدة الطمأنينة، وتبعث فى جسده البارد دفء الأمان، وهذا هو الإيمان.

● الإيمان إذن هو احتياج عميق متغلغل فى نفوسنا البشرية الضعيفة، أتى لتجسده الأديان والرسل والكتب السماوية. والذى يؤكد تلك الحقيقة التسلسل التاريخى لتطور فكرة الإله، التى مهدت لهبوط الأديان والوصول لمعرفة الله عز وجل، فأجدادنا الأوائل حين بدأوا فى البحث عن تلك القوة، كان علمهم بدائيا، وفكرهم بسيطا خاليا من التجريد، لا يذهب لأبعد مما حولهم من ماديات، لذلك بدأوا يبحثون عن تلك القوة فى الأشياء من حولهم، وكما ينبئنا التاريخ، فقد توسموا القوة فى الظواهر الكونية المختلفة كالكواكب والقمر والشمس وغيرها (وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ) [الأنعام: ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨]، توسموا القوة فى بعض الحيوانات التى تمثل تهديداً لهم أو توفر الخير لهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ) [الأعراف:١٥٢]، وغيرها وغيرها.. ولكنهم لاحظوا كما لاحظ سيدنا إبراهيم عليه السلام أن كل ما هو مادى فيه من مظاهر الضعف ما لا يؤهله لأن يحتل تلك المكانة، مما دفعهم للقناعة بأن تلك القوة لا يمكن أن تكون شيئاً مادياً، يجب أن يكون هناك شيء آخر هو المتحكم فى كل تلك الأمور، وأنه خارج نطاق المحيط المادى الذى حوله، لذلك؛ بدأ يشحذ خياله فى البحث عنها فى آفاق أخرى، هنا برزت فكرة الإله، أن هناك قوة خافية غامضة تسيطر على كل ظاهرة من الظواهر الطبيعية، بل على كل شيء له علاقة مباشرة بأمنه وحياته وسلامته، فهناك إله للمطر، إله للرياح، إله للخصوبة، إله للنماء، إلخ.. وهكذا تعددت الآلهة على مر التاريخ، وصار أجدادنا يتعبدون لكل إله على حدة، كى يقيهم الشرور ويهبهم الخير كل فى مجاله، وبما أن هناك مجموعة من شيء ما، فمن المؤكد أن لها من يقودها، أو أن هناك إلها أكبر لكل تلك الآلهة، هو رب الأرباب، هو المهيمن والمسيطر على كل تلك الآلهة، وبما أن تلك الآلهة الصغيرة هناك من يقودها، من يهيمن عليها ويسيطر، إذن فهى ليست مطلقة القوة، إذن هى ليست تلك القوة التى طالما سعى الإنسان للوصول إليها.

لذلك بدأت تتضاءل قناعة الإنسان بفكرة الآلهة الصغيرة المتعددة، لتتبقى قناعته بالإله الأكبر، الإله الواحد، وهكذا تبلورت فكرة التوحيد، أن هناك إلها واحدا يملك فى يده كل خيوط الكون، مهيمنا على كل شيء، هو تلك القوة المطلقة التى طالما كان يبحث عنها، القادرة على معاونته فى مواجهة أى خطر يهدده مهما كان مصدره، على أن يبعث الدفء فى أوصاله المرتعدة، على انتشاله من خضم الألم والعجز وبعث بريق الأمل فى دروب حياته المظلمة، على أن يحتويه فى أعمق لحظات ضعفه ويأسه فيشعر بين ذراعيه بالراحة والسكينة، على أن يحيل أقصى مشاعر الإحباط والخوف واليأس إلى شعور صادق عميق بالطمأنينة والأمان، وهكذا تأكّد للإنسان أنه يجب أن تكون تلك القوة موجودة، فبدونها لا أمل ولا أمان، بدونها يصعب تخيُّل أن يكون هناك حياة سوية على هذه الأرض لإنسان.

إذن القوة المطلقة المتمثلة فى الإله الواحد هى حقيقة متغلغلة فى نفوسنا أنشأها ضعفنا الإنساني، وأكد وجودها احتياجنا الدائم والعميق للشعور بالأمان، وكما لاحظنا أنها نشأت وتطوّرت على مراحل عدة، وكانت آخر تلك المراحل، هى الفترة السابقة لظهور الأديان، لذلك يمكن النظر للوثنية وعبادة الأصنام على ما فيها من كره وتحريم وإثم، على أنها أحد مظاهر تطوّر ونضج الفكر الإنسانى فى محاولته للوصول إلى الله.

فالإنسان فى تلك المرحلة لم يكن يتعبد إلى الوثن لذاته، بل لما يمثله من قيمة، فهو يتعبّد لمن يحكم الكون، لمن يهيمن عليه، لمن يملك له الثواب والعقاب، ولكن فكره البسيط الخالى من التجريد جعل من الصعب عليه التعامل مع شيء معنوى غير ملموس، كيف له أن يتحدث إليه، كيف يدعوه ويطلب منه ما يريد، كيف يسعى لإرضائه، كيف يخشع له ويتوسل إليه، فهو لم يكن مفهوماً ولا مقبولاً لديه أن يقف فى الفراغ ويصلى للاشيء، لذلك كان لزاماً عليه أن يتمثل شيئاً مادياً، يتحسسه ويراه، ليتعامل من خلاله مع مالك هذا الكون، ليوجه إليه دعاءه ويتعبد له، تلك كانت إمكاناته الفكرية فى تلك المرحلة، لذلك صنعوا الأصنام وتوسموا فيها القدرات الإلهية، كل جماعة صنعت صنماً خاصا بها، تعددت الأصنام ولكنها جميعاً كانت تمثّل تلك القوة

القادرة على كل شيء للجماعة التى صنعتها، على هذا، هم لم يصنعوا الأصنام ثم توسموا فيها القوة والقدرة، بل كانوا على قناعة بوجود تلك القوة الإلهية، كانوا يشعرون بها متغلغلة فى كل مجالات حياتهم، كانت حقيقة وواقعاً لديهم واحتياجاً عميقاً مسيطراً عليهم، لذلك صنعوا هذا الوثن ليكون الوسيلة التى يستطيعون بها التعامل مع تلك القوة، إلى أن جاءت الرسل بالحق والبيان، لتضع النقاط فوق الحروف وتوضح لبنى الإنسان أن تلك القوة المتأصلة فى فكر وعقيدة كل إنسان منذ بدء الخليقة إنما هو الله سبحانه وتعالى، الموجودة فى كل شيء فينا وحولنا، وهكذا يمكن النظر إلى الوثنية على أنها لم تكن شرا مطبقا، بل كانت مرحلة متقدمة من مراحل تطور الفكر الإنسانى فى الوصول إلى الله عز وجل، وكان من المنطقى أن تنال هذا الحظ الأوفر من التحريم والتجريم والتفكير من غيره من المراحل الأخرى، لأنها كانت المرحلة السابقة لهبوط الأديان، أو الخطوة الأخيرة للوصول إلى الله جل جلاله. ولأن قناعة الناس كانت عميقة بتلك الأصنام فى تلك الفترة، لذلك كان يجب أن تخصها الكتب السماوية بهذا الكم من الانتقاد والتحريم، لكى تسهل على الإنسان أن يخطو خطوته الأخيرة نحو الحق، نحو الإيمان الصادق والدين الحنيف، وما دام الإيمان احتياجا أساسيا فى أعماق كل إنسان، فكيف نفسر وجود من لا يؤمن؟ وكيف نفسر اختلاف الناس فى نظرتهم للدين؟، فهناك بالإضافة لمن لا يؤمن، هناك من يؤمن ولا يلتزم بمبادئ الدين وتعاليمه، وهناك من يؤمن ويلتزم أحيانا، وهناك من يؤمن ويلتزم دائماً!!! كثير من العوامل هى التى تحدد هذا الاختلاف، أهمها العوامل النفسية والبيئية المؤثرة فى النمو الفكرى لكل إنسان التى تساعد فى تحديد اتجاهاته وتوجهاته، كذلك طبائع الناس واختلاف سماتهم واختلاف درجات تلك السمات، فالدرجات المرتفعة فى سمتى الإرادة والضمير مثلا، تؤدى إلى الالتزام الديني، خاصة إذا كانت مصحوبة بدرجات مرتفعة من الإيحائية ودرجات أقل من الموضوعية وتدنٍ فى عتبة الخوف والقلق، فى حين أن الدرجات الأعلى من الموضوعية تؤدى إلى سيطرة الفكر المادي، فإذا كانت مصحوبة بارتفاع فى عتبة الخوف والقلق، قد تؤدى إلى الفكر الإلحادي، ولكن حتى أكثر الناس إلحادا، تأتى عليهم لحظات فى حياتهم، حين يتمكن منهم الألم، يدركون فيها أن الله موجود، وإن لم يسعهم هذا الإدراك، فإنهم يتمنون وجوده.

● أما المؤمنون الملتزمون، فهناك أيضاً الكثير من الاختلاف بينهم، ففيهم من يلتزم فى اعتدال وبساطة، وهناك من يلتزم بعمق ورغبة فى الزيادة، وهناك من يتطرف، وهناك من يبدو عنيفاً ويسعى لفرض آرائه بالقوة على الآخرين، والاختلاف بين تلك المجموعات ليس اختلافاً كمياً، بمعنى أن درجة الإيمان فى المؤمن الذى يتعامل ببساطة ويسر ليست أقل من المتطرف، ودرجة إيمان المتطرف ليست أقل من الذى يلجأ إلى العنف مع الآخرين، ولكن الاختلاف بينهما اختلاف نوعي، بمعنى أن المحرك لسلوكهما ليس درجة الإيمان بداخل كلٍ منهما، بل طبيعتهم الأصلية واختلاف سماتهم، فهناك الإنسان السمح واسع الصدر، وهناك الجاف حاد الطبع، هناك الهادئ المتأنى، وهناك العنيف الشرس، كما أن هناك اللين المتفتح، وهناك متصلب الفكر العنيد المنغلق، وكان المفروض أن يهذب الإيمان سلوك الجميع، ولكن الواقع يفرض نفسه، وإن كان الإيمان ينجح بعض الشيء فى هذا الأمر ولكن تظل الطبيعة المتأصلة فى خلايا كل فرد هى التى تسيطر وتحدد الشكل العام لسلوكه، كما أنها هى التى تصبغ مفاهيمه ونظرته الدينية، كما تحدد الإطار العام للأسلوب الذى يعبر به عن درجة الإيمان بداخله، **فسنجد المتدين الملتزم فى بساطة، هو الهادئ اللين السمح واسع الصدر، فى حين نجد المتطرف هو ضيّق الأفق، المنغلق، متصلب الفكر، بينما من يستخدم العنف هو من يحوى مزيجاً من تصلب الفكر مع حدة الطبع والعنف والشراسة، بصرف النظر عن درجة الإيمان بداخل أيٍ منهم.**

مركز التدريب وتنمية المهارات

ATC

بمستشفى

د. جمال ماضى أبو العزائم

دورات تدريبية

١ - مدرسة الإدمان

٢ - الأخصائى النفسى الأكلينيكى

٣ - فن التعامل مع الأطفال

٤ - فن التعامل مع المراهقين

٥ - فن العلاقات الزوجية الناجحة

٦ - السمنة والعلاج النفسى

٧ - كيف تحدد مستقبلك وتختار كليتك

٨ - كيف تقلع عن التدخين

٩ - أخصائى علم النفس العصبى

للحجز والاستعلام :

01111660232